اما الهيبة فهي اذا لم تهب زوجها هان عليها واذا هان عليها لم تسمع لامره ولم تصغ لنهيه ثم لم تقنع بذلك حتى تقهره على طاعتها فتعود آمرة ويعود مأمورًا وتصير ناهية ويصير منهيًا وترجع مدبرة ويرجع مدبرًا وذلك الانتكاس والانقلاب. والويل حينئذٍ للرجل ماذا يجلب له تمردها وطغيانها ويجنيه عليه قصر رأيها وسوء تدبيرها ويسوق اليه غيًا وركوبها هواها من العار والشنار والهلاك والدمار. فالهيبة رأس سياسة الرجل اهله وعمادها وهي الامر الذي يسد به كل خلة ويتم تمامه كل نقص وينوب عن كل غائب ويغني عن كل فائت ولا ينوب عنه شيء ولا يتم دونه امر فيما بين الرجل واهله. وليست هيبة المرأة بعلها شيئًا غير إكرام الرجل نفسه (67) وصيانة دينه ومروءته وتصديقه وعده ووعيده

اما كرامة الرجل اهله فمن منافعها ان الحرة الكريمة اذا استجلت كرامة زوجها دعاها حسن استدامتها لها ومحاماتها عليها وإشفاقها من زوالها الى أمور كثيرة جميلة لم يكد الرجل يقدر على إصارتها اليها من غير هذا الباب بالتكلف الشديد والمؤونة الثقيلة. على ان المرأة كلما كانت اعظم شأنًا وافخم امرًا كان ذلك ادل على نبل زوجها وشرفه وعلى جلالته وعظم خطره. وكرامة الرجل اهله على ثلثة اشياء في تحسين شارتها وشدة حجابها وترك إغارتها

واما شغل الخاطر بالمهم فهو ان يتصل شغل المرأة بتهذيب اولادها وتدبير خدمها وتفقد ما يضمه خدرها من اعمالها فان المرأة اذا كانت ساقطة الشغل خالية البال لم يكن لها همٌ الا التصدي للرجال بزينتها والتبرج ببيأتها ولم يكن لها تفكير الا في استزادتها فيدعوها ذلك الى استصغار كرامته واستقصار زمان زيادته وتسخط جملة إحسانه (لها بقية)

رحلة الى طرف بادية تدمر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

كان مسيرنا من يبرود الى معلولا عن طريق الجنوب مع ميلة الى الغرب. وهي طريق لاحبة تتصاعد تدريجًا الى المشارف التي في وسطها معلولا وكانت على يميننا اكمات مرتفعة على رؤوسها شبه الاكلة من الصخور. وفي مماطف تلك الربى مغاور وكهوف

منقورة في الجبل لتُجعل مدافن للموتى ولعلَّ بعضها كانت مقاماً للنسَّاك كما يرتأي اهل يبرود . والترنة في تلك الجهات جيِّدة تصلح خصوصاً للكروم ومنهـا كثيرٌ تزين بدواليها تلك القفار وكان اصحاب الكرم اذا رأونا اتوا باثمارهم واهدونا اياها بطيب الخاطر . ومن المزروعات التي لحظناها في تلك النواحي السمَّاق يتَّخذونهُ للدباغـة ويأكلون ثمرهُ

ومررنا في طريقنا على قريتين يسكنهما المسلمون مع افراد من الروم تدعى الاولى بجمة عدد اهلها بين ٢٥٠ و٣٠٠ والثانية جبعدين اهلها ٥٠٠ ومن عجيب امر سكَّانهما انَّهم يتكلَّمون بالسريانيَّة وقد قصدهم بعض السيَّاح لتدوين كلامهم في هذه اللغة

وكان وصولنا الى معلولا بين العشائين فنزلنا في اعلى البلد في ضيافة الرهبـان المخلصيين الافاضل في دير القديس سرجيوس وباخوس . وهو من اقدم اديرة هـذه الرهبانيَّة بعـد دير المخلِّص سكنوهُ منذ اواسط القرن الثامن عشر وخرج منهم رجال ذوو فضل وتُقى وعلم خدموا طائفتهم خدماً مشكورة . ولهذا الدير مقام بهيج يُطلّ على القرية وتكتنفهُ الصخور والآثار القديمـة من مدافن وكهوف وغيرها وفي اساس هذا الدير وجدرانهِ الحجارة الضخمة تُشير الى قدم بنائهِ وهو مربَّع الشكل ذا قناطر تحيط بطبقتيهِ على طرز الاديرة القديمة

قمنا في غد باكرًا وبعد انجاز الفرائض الدينيَّة اسرعنا الى التجوُّل في اطراف القرية لنظر آثارها وقام في خدمتنا بلطف ووداد كاهنان فاضلان من تلامذة مدرسة الصالحيَّة في القدس حضرة الخوري حنَّا من اهـل يبرود وحضرة الخوري باسيليوس عيسى من معلولا نفسها ومثلهُ جناب الاديب اندراوس كوبا من تلامذة مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير

معلولا من اغرب القرى ، وقمَّا تراها بين مضايق وصخور كأنها العقاب في وكرهِ او هي اعزّ من العقاب فانَّ كلّ دارٍ من دورها تلوذ بقطعة من الجبـل فيمتزج عمل البانيي بعمل الطبيعة وربَّما كان البيت كهفًا من الصخور بُنيت لهُ واجهة وشُيّد لهُ درج . وكذلك ترى طُرق البلدة جاريةً في اسراب ضيِّقة ومسالك حرجة وفي ثقوب الصخور التي تنتصب وتمتدّ على هيئات غاية في الغرابة . وفي اعطاف الجبـل مغاور واسعة كان يلتجئ اليها الاهل في ردّ الغارات . ومنهـا ما يسع المئين من الناس وترى مع ذلك

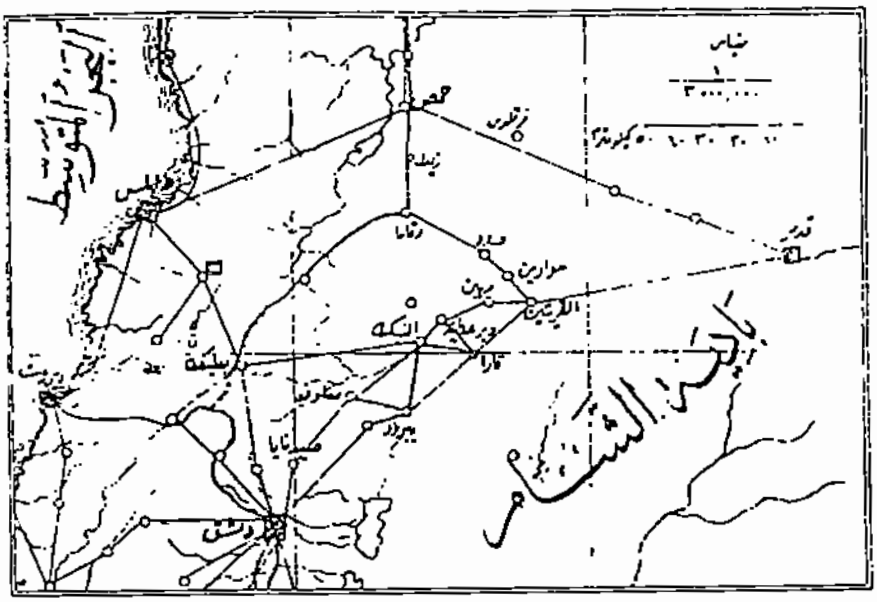

خارطة الرحلة الى طرف بادية تدمر

المياه تنبع بين الصخور وتترقرق جاريةً في المنافذ المتحدّرة بين البيوت فتسقي في اسفل القرية اشجارًا باسقةً ممتدّة الاغصان وارفة الظلّ وهناك مزارع وبقول وحدائق تولي القرية محاسن فوق محاسنها . امّا اصل هذه المياه فمن ينبوعين كبيرين احدهما للروم الكاثوليك تحت دير مار سركيس يُدخل اليه من سرب ضيّق الى حوض واسع يستحمّ به البعض . والينبوع الآخر في دير القديسة تقلا للروم الارثدكس . ومياه الينبوعين تجتمع وتجري الى قرية عين التينة التي تبعد نصف ساعة عن معلولا

لا يفيدنا التاريخ شيئًا كثيرًا عن معلولا . امّا قِدَمها فثابتٌ ورد ذكرها في جغرافية بطليموس الكلوذي الذي دعاها مجلودة (Magluda) ولعلّ اسمها الحديث « معلولة » تصحيف هذا الاسم القديم يراد به مكان الجليد لتراكم الثلوج عليه في الشتاء . وقد ظنّ البعض انّ معاولا لفظة آراميّة معناها المدخل والمعبر لوقوعها بين البادية وغوطة

الشام . والله اعلم . وقد نسبها كتبةٌ الى الدولة السلوقيَّة وزعموا انَّ معلولا دُعيت مدَّةً باسم « سلوقية » او « سلفكيَّة » مع اضافة اسمها الى الشام تمييزًا لها عن امكنةٍ اخرى دُعيت بهـذا الاسم . وذكروا لها اسافلة منذ القرن الرابع (اطلب خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ١٢٢) لكنَّ هذا الرأي ضعيفٌ لا تؤيّدهُ الآثار

ومما يدلّ على قدم معلولا وعظم شأنها عادياتها المتعدّدة . اخصُّها مغاورها المنقورة في الصخور . وبعض هذه الآثار متقنة الصنع محكمة العمل تراها اذا دخلتها كحجرة واسعة فيها السواري والمراقي والكوى والحفائر على شبه النواويس ما لا يدع ريبًا بان هذه الاماكن اتخذها القدماء لمدافنهم . وفي احدى هذه المغاور تاريخٌ يقرأ فيهِ انَّ « سحيم بن ديودورس بن فيليبيون انجز باليُمن هذا المدفن سنة ٥٠٩ للسلوقيين » وهذه السنة تبتدئ في غرَّة تشرين الاوَّل سنة ١٩٧ للمسيح . اما سحيم فاسم احد امراء ذلك الزمان . (Waddington, n° 2565) ومن المحتمل انَّ هذا المدفن جُعل بعدئذٍ كنيسةً فانَّ فيهِ صورة كصورة العذراء مع طفلها فضلًا عن صورة طائر كالنسر او البجع . وهناك مغارة اخرى واسعة ورد فيها باحرف كبيرة حمراء في اليونانيَّة اسم السيِّد المسيح وانتصارهِ على الوثنية . ولهذه المغارة منفذ الى مقام داخليّ على شبه مذابح الكنائس اليونانيَّة ذي ثلاث حنايا (Journal asiatique, 9e Série, XI, 264) . وفي جوار تلك الكهوف مغارة فيها كتابة اخرى ناقصة تاريخها سنة ٤٩٤ للسلوقيين ورد فيها اسم احد ملوك تلك الجهات اسمهُ « سسينراموس » تكرَّر اسمهُ في كتابات حمص

ومن عاديات معلولا اثار هيكل رومانيّ قديم في اسفل القرية على شمال المتحدر اليها تُرى الى اليوم زراياهُ واساسهُ . واهل معلولا يدعونهُ حمَّام الملكة ويزعمون انَّ الوثنيين كانوا يجترحون فيهِ الفواحش الى ان قام احد النسَّاك اسمهُ بولا (وقصَّتهُ في احدى نسخ مكتبتنا اشرنا اليها في عدد سابق ص ٩٩٩) فانذرهم بالعقاب العاجل اذا لم يرعووا . فلم ينيبوا الى الله فصلَّى القديس وهبط الحمَّام على الأثمة ثمَّ تنصَّر المعلوليُّون وجعلوا المكان كنيسةً . وفوق هذه الاخربة نصبٌ منقوش في الصخر اعلاهُ على شبه القوس ترى فيهِ اشخاصًا يلوح بينها صورة رجل وامرأة . وفوقهُ اسماء الاشخاص باليونانيَّة (Waddington, n° 2563)

وان عدتَ من هناك ماشيًا في عطف الجبل ادَّت بك الطريق الى جانب القرية

الثاني وفيه دير كبير على اسم القديسة تقلا وهو للروم الارثدكس فيه ابنية وثيقة متواضعة يركب بعضها على ظهر البعض. وفي هذا الدير عدة مساكن يأوي اليها الزوار والمصطافون من اهل دمشق ولهُ كنيسة واسعة جُدّد بناؤها منذ زمن قريب. وهناك مقام على اسم القديسة تقلا دعاها الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته « المُرَتَّله » قال: « وهي مغارة في نصف الجبل والماء يقطر من اعلاها الى اسفلها في اماكن متعدّدة منها ». ويستحمّ الناس في الماء تبرّكاً وقيل انهُ نافع للنقرس ومما يرويه اهل الدير انَّ هناك قبر القديسة تقلا الشهيدة وهو امرٌ لا يُصدَّق لانَّ القديسة تقلا استشهدت في بلاد بعيدة من الشام في سلوقية ايزوريا ولم يذكر احد من الكتبة ان جسمها نُقل الى هذه الجهات ولعلَّ الصواب انهُ بُني هذا المزار لاكرامها ووُضع فيه شيء من ذخائرها

وفي معلولا كثير من الكنائس قد خرب قسمٌ منها لم يبقَ غير آثارها كانت مقامة لتذكار قديسين وشهداء كيقولاوس وسابا وجاورجيوس وشربين (وهو سربيل الرهاوي) وبربارة. ومما ضبر على الزمان كنيسة القديس لاوندیوس الرعويَّة الروم الكاثوليك يُقال انَّها من القرن الخامس وبناؤها في الصخر عجيب وقد اصلحها الطيّب الذكر السيّد المرحوم غريغوريوس عطا لكنَّ هذا الاصلاح ازال شيئاً من رونقها القديم

وبعد هذا الطواف في جبات معلولا وتفقُّد آثارها وزيارة بعض الاصحاب كرنا راجعين الى دير مار سركيس فكان طريقنا في ممرّ حرجة بين الصخور العالية ومجاري المياه كما كان انحدارنا من الجانب الآخر. وليس الى القرية غير هذين المسلكين المكتنفين بها كالمنطقتين وقد لحظنا في اعلى الصخر من عن شمالنا كتابةً عربيَّة لم نتثبَّتها لعلوّها

ومما لا يسعنا هنا الاضراب عنهُ لغة اهل معلولا التي هي السريانيَّة يأخذها الصغار عن أمّهاتهم ويدأبون عليها الى الشباب حيث يتعلّمون العربيَّة اما في المدارس واما بمخالطة اهل القرى المجاورة. وقد سمعناهم يتكلّمون بهذه اللغة ولفظهم فيها اقرب الى لفظ الشرقيين. ولهم فيها خواصّ اخرى تفرّدوا فيها اما باصطلاحات اصطلحوا عليها واما بالفاظ وتراكيب خُصّوا بها دون غيرهم. وقد زعم البعض انَّ اهل معلولا هاجروا اليها من جهات الفرات وما بين النهرين فحافظوا على لغتهم والاصحّ انهم

وطنيون حكموا بالسريانيَّة كاهل تلك الجهات ولمَّا بقوا في مواطنهم معتزلين عن سواهم لوعورة تلك النواحي لم تنقرض لغتهم كما جرى في غيرها من القرى. وهكذا حدث في مجخ وجبعدين. وكان اهل عين التينة سابقًا يتكلمون مثلهم بالسريانيَّة فكادوا اليوم يهملونها تمامًا

وكذلك الطقوس الكنسيَّة كانت تُقام في معلولا في اللغة السريانيَّة وان كان اهلها من الروم الملكيين. ولم تبدل اللغة السريانيَّة باللغة العربيَّة الَّا منذ نحو مئة سنة. ولم تنفرد معلولا وحدها بذلك فانَّ قرى كثيرة غيرها من الروم الملكيين في تلك الجهات كانت قديمًا تألف اللغة السريانيَّة وتقيم بها فروضها الدينيَّة. وانَّا لنعرف اكثر من ٣٠٠ كتاب طقسيّ من هذا الصنف في مكاتب وامكنة شتَّى بينها الميناون والاكطويخوس والتريودي والقنداق والطروباريات والستيشاري وغير ذلك. وقد مرَّ لنا ذكر بعض ما رأينا منها في رحلتنا هذه. وكانت معلولا غنيَّة بمثل تلك المخطوطات وفي خزائن كتب اوربَّة ما يشهد على ذلك فانَّ فيها تآليف سريانيَّة كُتبت في معلولا في ازمنة متباينة بين القرن العاشر والسابع عشر وصف بعضها العلَّامة ادورد ساخو سنة ١٨٩٩ في مجلَّة برلين العلميَّة (Studie z. syr. Kirchenlitteratur d. Damascene) وكان عدد وافر من هذه المخطوطات في معلولة قبل نصف قرن كما اكَّد لنا ذلك بعض كهنة معلولا. وفي سنة ١٨٩٠ امكن الاب فن كستن اليسوعي ان يشتري في معلولا اربعة كتب خطيَّة كُتبت بالسريانيَّة ووصف غيرها تمَّا وجده عند اهل القرية (راجع الكتبية الكاثوليكيَّة سنة ١٨٩٠ ص ٥٧٨—٥٨٢) وكذلك جناب الاديب حبيب افندي زيَّات عرَّف في كتابه « خزائن الكتب في دمشق وضواحيها » (ص ١٥٤—١٦١) عرَّف ما وقف عليه من هذه المخطوطات السريانيَّة في معلولا. ومما بلغنا انَّ في عين التينة عند آل حوري (بالحاء) انجيلًا وكتبًا طقسيَّة بالسريانيَّة حتى الآن. وكان منها كثيرٌ في دير مار سركيس فبيع او أُتلف. وقد سبق لنا القول انَّ خطَّ هذه الكتب بالقلم المعروف بالملكيّ الذي كان يستعمله الروم وهو غير القلم المستعمل عند الموارنة والسريان يشبه بالسطرنجليّ وقد رسمنا منهُ مثالًا في المشرق (٥ : ١٠٤) فليُراجع (١

١) وقد وعدنا حضرة الخوري باسيليوس عيسى احد افاضل كهنة معلولا بان يكتبوا لنا فصلًا في تعريف لغة معلولا فنعطي القوس بارهاره

وفي ظهر النهار برحنا معلولا شاكرين لاهلها فضلهم وسرنا قاصدين صيدنايا . وكان المعلوليون يرغبوننا في الاقامة لمشاهدة الالعاب الجارية في مساء ذلك النهار الواقع فيه يرامون عيد الصليب عند الارثدكس فان شبيبتهم يوقدون احد الجبلين المطلين على القرية فيرمون منه الاسهم النارية يتقد بها الجو وتستضيء بها منازل القرية كما ان اصداء الجبل تردد اصوات اللاعبين وجلبة طلقات بنادقهم لكن ضيق الوقت لم يسمح لنا بتلبية هذه الدعوة

الطريق من معلولا الى صيدنايا من خمس الى ست ساعات تجتاز في سهول تتحدر تحدرا خفيفا من مشارف معلولا الى هضاب القوطة ويرى السائر عن يمينه عدة تلال صخرية بركانية العنصر منقورة فيها الكهوف والاغوار وعن شماله بعيدا ترتفع سلسلة جبال متوسطة العلو تنتهي الى صخرة دياس ثم تتصل بالجبل الشرقي . وتلك البقاع طيبة التربة تكثر فيها الكروم وفيها الاشجار المثمرة وكان اوانئذ فصل القطاف فيدعونا الكرامون الى اكل العنب . وشهدنا في مسيرنا بعض القرى العامرة كطواني وعكوبر وبدة ثم رأينا على احدى القمم المنتصبة عن شمالنا دير مار الياس وهو مبني في وسط الصخور فيه كهف منقور في الجبل على شبه الكنيسة يقصده الزوار ويكشف الناظر من هناك على مرأى عجيب يشمل كل الجهات المجاورة . وكان اهل الدير في ذلك المساء قد اوقدوا المشاعل ايذانا بمساء عيد الصليب

وما لبثنا بعد قليل أن رأينا صيدنايا واول ما يظهر منها ديرها الشهير وهو في رأس اكمة تعلوها الصخور كأنه الحصن المنيع فجزناه ودخلنا القرية التي تمتد في اعطاف الجبل على نصف الدائرة وبيوتها راكب بعضها في نحر البعض

وكان نزولنا في دار كنيسة الروم الكاثوليك في ضيافة حضرة الخوري قسطنطين الراهب الشويري الذي احسن استقبالنا وتلطف في كرامتنا . والكنيسة حديثة البناء واسعة متقنة العمل بُنيت على اسم القديسة صوفيا الشهيدة وبناتها (كذا قيل لنا) وتدعى ايضا بكنيسة اجيا صوفيا (اي الحكمة المقدسة) وكنيسة الجامع . واذا ما تم تزيين هذه الكنيسة اضحت من احسن كنائس تلك الانحاء . ويلحق بها من عن يمينها معبد على اسم القديس الياس ينزل اليه بالدرج

وفي ذلك المساء دقت افراح عيد الصليب عند الروم الارثدكس فكان اهل

القرية يطلقون البنادق ويوقدون السرج والمصابيح . وتضاعفت هذه شارات الفرح في دير السيّدة . فكنّا نسمع جلبة الزوّار واهازيجهم واناشيدهم عند رقص « الدبكة » فقضوا كذلك طرفاً من الليل

وفي غدٍ بعد الصلاة طفنا كالوف العادة في جهات القرية لتتعقّب آثارها ونطّلع على تفانسها وشواهد قدمها

صيدنايا علم مشتقّ من الآرامية قيل يراد به مكان الصيد وقيل انّ معناهُ محلّ الادوية والمستشفى وقد زعم البعض انّها دُعيت قديمًا دنابا وليس الامر ثبتًا . وصيدنايا مدينة قديمة وجد فيها الاثريون ما يرقّي عهدها الى القرن الثاني بعد المسيح . ومن بقاياها الحجية بناءان رومانيّان هما اليوم من املاك الروم الكاثوليك . احدهما يُسمّى كنيسة مار توما والآخر كنيسة مار بطرس وبولس وكلاهما من الآثار العظيمة والابنية الفخيمة التي لو رُمّمت قليلًا لأضحت من ابدع البقايا القديمة التي يقصدها السيّاح

اما كنيسة مار توما فموقعها في رأس الجبل المطلّ على صيدنايا وديرها يبعد عن البلدة نحو نصف الساعة ويُصعد اليها من طريق محجرة صعبة المرتقى فيمرّ الصاعد على مغاور وصهاريج ومدافن قديمة من جملتها مغارة واسعة تُدعى مغارة الديوان هي على شبه ردهة عظيمة ذات اعمدة ومساطب وكرًى كلها منقورة في الصخر يزعم الاهالون انّ القدماء كانوا يعقدون فيها مجالسهم . والمظنون انّها كانت مدفنًا لعظمائهم . ثم يسير السائر الى قمّة الجبل فيبلغ كنيسة مار توما وهي اثر روماني جليل ذو حجارة ضخمة واعمدة ورواق ونقوش ومدخل انير وبعضها منقور في الصخر وكان لها سور خارجيّ او حرم يصونها قد استولى عليه الخراب وبقي منهُ اطلالهُ . وهناك كتابتان يونانيّتان الواحدة اقدم وهي سطران في اعلى الحجارة التي توازي المدخل من جانبهِ الشمالي ورد فيها اسم فيلبُّس (ευναλει Φιλιππος) والثانية في السور الخارجيّ الذي امام الهيكل وهي احدث لكنّها طويلة في عشرة اسطر يصعب قراءتها بلا سلّم . وهاتان الكتابتان لم تُنشرا حتّى الآن . وفي داخل البناء آثار أُخرى قديمة في جملتها شبه جرن للعماد . والروم الكاثوليك يقدّسون في هذا المكان في بعض ايّام السنة وقد اقاموا لذلك مذبحًا حديثًا جعلوهُ في احدى نواحي الهيكل القديم

اما كنيسة مار بطرس وبولس فهي في نصف القرية وهي عبارة عن بناء عظيم وثيق البنيان مرتفع مشيَّد بنحيت الحجارة العاديَّة وتزين رأسهُ الطنوف العجيبة ويرتقى اليه بثلاث مراقٍ فخيمة . ويُصعد الى سطحه على درج لولبيّ الشكل . وهو متَّسع الداخل محكم الصنع يصلح ان يكون من ابدع الكنائس لو تولَّى ترميمهُ مهندس حاذق . وليس فيه الآن من الآثار الدينيَّة الَّا هيكل صغير وقنطاس حقير

وفي صيدنايا آثار كنائس اخرى عديدة اخبر الرحَّالة مندرل في القرن السابع عشر انهُ زار منها ستَّ عشرة كنيسة وقد بقي منها بعضها امَّا في يد الروم الملكيين واما في حوزة الروم الارثدكس (راجع مقالةً مطوَّلة نشرها البشير في ذلك (سنة ١٨٩٥ عدد ٢٤ تموز)

لكنَّ اقدم هذه الكنائس كنيسة السيِّدة في دير الشاغورة . ولهذا الدير تاريخ يتناقلهُ الاهلون ولم يسندوهُ الى كاتب قديم . يزعمون انَّ بانيهُ هو يستنيان الملك امر ببنائهِ هناك بعد آية سريَّة شهدها اذ كان يتصيَّد في تلك الجهات فبُني المعبد على وفاق رسم وضعتهُ لهُ السيِّدة الطاهرة . وما لا يُنكر انَّ ذلك المقام كان معروفًا سابقًا وفي صخوره الى اليوم كوف قديمة وُجدت فيها رسوم منقوشة تمثل ستَّة اشخاص مع كتابة يونانيَّة فيها ذكر اسمائهم تاريخها سنة ٥١٠ لليونان الموافقة لسنة المسيحيّة (١٩٨—١٩٩) (Waddington, n° 2562) . ثمَّ كثر عدد السكَّان في صيدنايا واقيم لاهلها اسقف وقد ذكرت مجلَّة اصداء الشرق سلسلة اساقفة صيدنايا الى ايَّامنا (Echos d'Orient)

اما دير الشاغور فقد اشتهر منذ القرون الوسطى ذكرهُ كثيرون من السيَّاح الفرنج وغيرهم في رحلتهم منذ القرن الثاني عشر الى يومنا . وقد روى الاب يوسف بسُّون اليسوعي في كتابهِ سوريَّة المقدَّسة (ص ٦٦—٦٨) انَّ المرسلين اليسوعيين في اواسط القرن السابع عشر كانوا يتردَّدون اليهِ فيرشدون راهباته .

واكثر ما اشتهر هذا الدير بصورتهِ العجائبيَّة المثَّلة للبتول والدة الله يقصدها الزوَّار من انحاء المعمور . وقد ذكر القدماء عدَّة عجائب كانت تجري هناك على يد السيدة والذين رأوا هذه الصورة منذ نحو اربعمائة سنة ذكروا عنها انَّها كادت تطمس لعتقها . امَّا اليوم فلا يمكن احدًا ان يشاهدها يُقال انَّها في قبَّة وراء الكنيسة وقد رأينا تلك الحجرة مع ما فيها من التصاوير التي يرتقي بعضها الى القرن السابع عشر . وهناك

كوّة يزعمون انّ فيها صورة السيّدة وامامها حاجزان مزيّنان لا يُفتح الّا احدهما ومن وراءه طاق من فضّة اشبه بصندوق يحجب الصورة . اما الروم الكاثوليك فيروون انّ الصورة ليست هناك وانّ تاوفيلوس نصري اسقف صيدنايا اخذها معهُ لمّا رحل الى رومية في القرن الثامن عشر (المشرق ٣ : ١٤٣)

. امّا اصل هذه الصورة وتاريخها وعجائبها فقد مرّ لنا ذكرها في المشرق (٨ : ٤٦١ — ٤٦٧) نقلًا عن مخطوط قديم فليُراجع

وقد زرنا في رحلتنا هذه دير الشاغورة فاستقبلتنا رئيستهُ الحاجّة تقلا بكل لطف ورافقتنا في معاهده وحجره وكان في اكثرها قوم من الزوّار مع اولادهم ونسائهم اقاموا رُتب العيد في صباح النهار وطافوا في انحائه بالصلبان والمراوح يتغنّون بالتراتيل الكنسيّة . وزرنا الكنيسة التي هي على الطراز الجديد مزدانة بالآنية الفاخرة وبالتصاوير البديعة المرسلة من روسيّة . وقد قيل لنا انّ رواهبها يبلغن من الثلاثين الى الاربعين

ومما سرّنا تفقُّدهُ مكتبة الدير وهي مجموعة في حجرة صغيرة في ستّ خزائن خشبيّة موصدة بالزجاج . والكتب نحو ٣٠٠ كتاب بين مطبوع ومخطوط . وقد سبق المشرق (٢ : ٥٨٦) وخصّ بمكتبة هذا الدير القديمة فصلًا حسنًا دبّجهُ بقلمهِ جناب الاديب حبيب افندي زيّات . ومنها ترى انّ هذه الذخائر ليست الّا بقيّة مكتبة اوسع واعظم شأنًا اخذتها ايدي الضياع

والغالب على الكتب الباقية الطقسيّات منها يونانيّة مكتوبة على الرقّ ومنها عربيّة وكذلك بينها كتب روحيّة كالمواعظ وسير الآباء وتراجم القديسين . ومما نظرنا فيهِ ملّيًا قنداق سريانيّ مكتوب بحرف ملكيّ لخدمة رُتب الروم . وهناك كتاب آخر ضخم فيهِ فصول طقسيّة شتّى في السريانيّة بالقلم عينهِ تاريخهُ سنة ٦٩٣٩ لآدم (١٤٣١م) كتبهُ « الشمّاس يوسف ابن القس يوحنّا بن ضومط من قرية كفور من اقليم طرابلس » . وفي هذه القرية تعدّدت المخطوطات السريانيّة التي اتّخذها الروم الملكيّون . وفي كنيسة الروم في محيدثة بكفيّا الى اليوم انجيل كُتب هناك بهذا القلم

وقد شهدنا ايضًا في مكتبة صيدنايا كتبًا غيرها منها كتاب « مجادلة القديس غريغوريوس رئيس اساقفة مدينة كرسيّ الحبشة المدعوة كيفرا مع واحد عبراني » . وكذلك رأينا انجيلًا قديمًا بحرف مُشرق يرتقي تاريخهُ الى نحو ٥٠٠ سنة فيهِ تصاوير

الانجيليين مع اسمائهم بالسريانية بالقلم الملكيّ . ويتقدّم الاناجيل عدّة فصول تمهيديّة وفي المكتبة انجيل آخر مصوّر مقدّم على آحاد واعياد السنة « تاريخهُ سنة ٧٠٤٧ لكون العالم » اعني ١٥٣٩ للمسيح

واقدم من هذين الانجيلين انجيل آخر في كنيسة احيا صوفيا كبير الحجم مجلّد بخشب وفي تجليده اوراق مكتوبة بالسريانيّة كُتبت سنة ٦٧٣٦ للعالم الموافقة للسنة ١٢٢٨ المسيحيّة ننقل عنهُ هنا بعض آياته للمقابلة مع النصوص المتداولة (يوحنّا ١)

« الله ما ابصرهُ احد الابن الذي لم يزل في حضن الاب ذاك اخبر وهذه هي شهادة يوحنّا اذ ارسل اليهِ اليهود من اورشليم كهنة ولاويين ليسألوهُ من انت فأقرّ ولم يجحد واعترف اني لست انا المسيح . فسألوهُ : من انت فهل انت ايليا . فقال : لستُ انا ذاك . أفالنبيّ انت . فاجاب : لا . فقالوا لهُ : من انت لنعطي جواباً للذين ارسلوا . ماذا تقول عن نفسك . فقال : انا صوت صارخ في البريّة قوّموا طريق الربّ كما قال اشعيا النبي . وكان المرسلون من الفريسيين »

وفي ظهر النهار تأهّبنا للسفر وشكرنا حضرة الخوري قسطنطين . وكنّا في مدّة اقامتنا في صيدنايا نسمع كثيرين يثنون على غيرتهِ وتقواه . ومن ثمّ امتعضوا ممّا كتبتهُ في حقّهِ احدى جرائد اميركا وكلامها محض اختلاق وكذب

ثمّ توجّهنا الى دمشق على طريق منين . وهي طريق سهلة تتّصل بحدائق الغيحاء وتجري في غوطتها الريّا الى ان يبلغها السائر بعد خمس او ستّ ساعات . على انّ الله سمح بان نتأخّر عن ميعاد الوصول اليها لجموح الفرس بنا في الطريق فاضطررنا ان نعود الى صيدنايا . لكنّ هذه الخبة والحمد لله كانت سليمة العاقبة بفضل شفيعة ذلك المزار المبارك عليها اشرف السلام

المطريّة وآثارها المسيحيّة

للاب يوسف خليل اليسوعي

نشرت جرائد القطر المصريّ في منتصف شهر آب الغابر مقالات ضافية الاذيال ملخّصها انهُ في قرية المطريّة دوحة من الجمّيز توالت عليها الايام فاثقلت اغصانها واستلذّت مانيّتها ثم تلاعبت ريح الصبا يوماً في اغنانها فلم يقوَ جذع الشجرة على سورة الريح فسقط منهُ على الحضيض جزء عظيم . وفي بادئ بدء يقف القارئ ويستوقف